

﴿يَبْنِيْ عَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُّسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّوْنَ عَلَيْكُمْ
 ءَايَاتِيْ فَمَنْ أَتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿٣٥﴾
 وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوْا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
 هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف: 35 - 36]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلًا مُّعَيَّنًا لَا تَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ وَلَا تَتَأَخَّرُ، بَيَّنَّ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ أَحْوَالَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَإِنْ كَانُوا مُطِيعِينَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا حُزْنٌ، وَإِنْ كَانُوا مُتَمَرِّدِينَ وَقَعُوا فِي أَشَدِّ الْعَذَابِ^(١)، فَالْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ الْآيَاتِ هِيَ إِتْبَاعُ بَيَانِ عَذَابِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَحُسْنُ الْبَدْءِ بِعَذَابِ الدُّنْيَا إِذْ هِيَ السَّابِقَةُ لِعَذَابِ الْآخِرَةِ.

مَنْ عُدِّبَ فِي
 الدُّنْيَا دِيَانَةً
 لِحَقِّقِهِ عَذَابُ
 الْآخِرَةِ جَزَاءً

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَقُصُّوْنَ﴾: مِنْ (قَصَصَ)، وَيدُلُّ أَصْلُ الْمَادَّةِ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ، إِذَا تَتَبَعْتَهُ. وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِثْقَاقُ الْقِصَاصِ فِي الْجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالْأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أَثَرَهُ⁽²⁾. وَيُقَالُ: قَصَّ أَثَرَ الشَّيْءِ؛ أَي: تَتَبَعَهُ. وَكَذَلِكَ اقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَتَقَصَّصَ أَثَرَهُ. وَالْقِصَّةُ: الْأَمْرُ وَالْحَدِيثُ⁽³⁾. وَالِاسْتِقْصَاءُ: تَتَبُّعُ كُلِّ شَيْءٍ. وَالْقَصَصُ: الْأَخْبَارُ الْمُتَتَبَّعَةُ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: يَتْلُوْنَهَا وَيَحْكُوْنَهَا.

(2) ﴿بِآيَاتِنَا﴾: اسْتِثْقَاقُ الْآيَةِ إِمَّا مِنْ (أَيِّ)، فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي تَبَيَّنَّ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/73.

(2) الجوهري، الصحاح: (قص).

(3) الجوهري، الصحاح: (قص).

أَيًّا مِنْ أَيْ، وَإِمَّا مِنْ قَوْلِهِمْ: أَوَى إِلَيْهِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ التَّأْيِي الَّذِي هُوَ التَّثَبُّتُ، وَالْإِقَامَةُ عَلَى الشَّيْءِ، وَالآيَاتُ جَمْعُ آيَةٍ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ الظَّاهِرَةُ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهَا هَذَا الْاسْمَ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الدَّلَالَةِ الْبَاهِرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ، وَسُمِّيَتْ الْآيَةُ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةً؛ لِأَنَّهَا عَلَامَةٌ يُقْطَعُ بِهَا كَلَامٌ مِنْ كَلَامٍ⁽¹⁾. وَمَعْنَى الْآيَاتِ: الدَّلَائِلُ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ.

(3) ﴿وَأَسْتَكْبِرُوا﴾: مِنْ (كَبَر)، بِمَعْنَى: عَظُمَ، وَالْكِبَرُ: الْعَظَمَةُ وَالتَّجَبُّرُ، وَالْإِثْمُ الْعَظِيمُ. وَالْكِبْرِيَاءُ: الْعَظَمَةُ، وَالتَّجَبُّرُ وَالتَّرَفُّعُ عَنِ الْإِنْقِيَادِ، وَيُقَالُ: تَكَابَرَ فُلَانٌ: أَرَى مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ كَبِيرُ الْقَدْرِ أَوْ السِّنِّ. وَاسْتَكْبَرَ فُلَانٌ: امْتَنَعَ عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ مُعَانِدَةً وَتَكَبُّرًا، وَالِاسْتِكْبَارُ: الْمُبَالَغَةُ فِي التَّكَبُّرِ، وَأَنْ يَتَشَبَّعَ الْإِنْسَانُ فَيُظْهِرَ مِنْ نَفْسِهِ مَا لَيْسَ لَهُ، وَهَذَا هُوَ الْمَذْمُومُ، وَعَلَى هَذَا مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ⁽²⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

وظيفة الرُّسُل
البيان، ووظيفة
النَّاسِ الْإِيمَانُ

يُخَاطَبُ اللَّهُ بَنِي آدَمَ أَنَّهُ إِنْ جَاءَهُمْ رُسُلٌ مِنْ جَنَسِهِمُ الْبَشَرِيِّ، يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ كِتَابِهِ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُمُ الدِّينَ، فَمَنْ اتَّقَى فَتْرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَتَرَكَ الْمَنْهِيَّاتِ، وَعَمِلَ الطَّاعَاتِ؛ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا، وَعَلَى مَا يَتْرَكُونَ مِنْ مَالٍ وَذُرِّيَّةٍ، وَمَنْ كَذَّبَ بِالْدَّلَائِلِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا، وَاسْتَكْبَرَ عَنْهَا فَلَمْ يَنْقُدْ لِأَحْكَامِهَا، بَلْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى عُتْوًا وَكِبْرًا، فَأُولَئِكَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، مَا كَثُرَتْ فِيهَا، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا.

(1) الرَّاغِب، المفردات، والسَّمِين الحَلَبِيُّ، عمدة الحفاظ: (آي).

(2) الرَّاغِب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (كبر).

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نكتة تكرار النداء:

تَكَرَّرَ النداءُ بقوله تعالى: ﴿يَبْنَىٰ عَادَمَ﴾ قبل هذه الآية ثلاث مرَّاتٍ؛ وذلك للاهتمام بِشأنِ ما في حَيِّزِهِ⁽¹⁾، وقد سبقت الإشارة إلى هذه النكتة.

النداءُ إيقاظٌ
للغافل، وتنبيهٌ
للعاقل

بلادة تأكيد الشرط:

أوثر الشرطُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ في الحَضِّ على الاستجابة؛ لتأكيد المعنى المراد هنا، وهو إرسالُ رُسُلٍ مُبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ؛ لذا أُكِّدَ هذا الشرطُ بالنون.

يُؤَكِّدُ فِعْلُ (إِنَّمَا)
بنونِ التَّوكِيدِ؛
لِنَلَا تَنْحَطَّ دَرَجَةُ
فِعْلِ الشَّرْطِ عَنْ
حَرْفِهِ

فقد ضُمَّتْ (إِنْ) إلى (ما) في قوله تعالى: ﴿يَبْنَىٰ عَادَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ﴾؛ لتأكيد معنى الشرط؛ "لما فيها من الدلالة على شرط التعليق، والدلالة على زيادة العلم في المعلق عليه، والتزيم أن يُؤَكَّدَ فعلها بنونِ التَّوكِيدِ الثَّقِيلَةِ أو الخفيفة؛ لئلا تنحطَّ درجة فعلِ الشرطِ عن حَرْفِهِ، وتعاضداً في الدلالة على إرادة التَّوكِيدِ"⁽²⁾، وجوابُ هذا الشرطِ قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ والمعنى: إنَّ أتاكم رُسُلٌ كائِنُونِ مِنْكُمْ، يُخَبِّرُونَكُمْ بِأحكامي، وَيُبَيِّنُونَهَا لَكُمْ، فَمَنْ اتَّقَى مَعَاصِيَ اللَّهِ، وَأَصْلَحَ حَالِ نَفْسِهِ، بِاتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَاجَابَتِهِمْ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽³⁾.

دلالة العدول عن الماضي إلى المضارع:

عُدِلَ عن الماضي إلى المضارع في قوله: ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ الإتيانَ باقٍ وقتَ الخطاب؛ لِتَقْوَى الإشارةُ بِصِحَّةِ النُّبُوَّةِ إلى مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وهذا على مُراعاةِ وقتِ نُزُولِ الآية⁽⁴⁾، ولإفادة أن الدُّعَاءَ

أَنَّنَرُسُلُ اللَّهِ باقٍ
في الدُّعَاءِ إلى
قيامِ السَّاعَةِ

(1) الألويسي، روح المعاني: 5/169.

(2) شيخ زاده، حاشية على البيضاوي: 4/215.

(3) الشوكاني، فتح القدير: 2/286.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، ص: 700.

ورثة الأنبياء، وأنَّ على النَّاسِ الاستماعَ إلى دعوتِهِم، والاستجابةَ إلى كلمتِهِم؛ كاستماعِهِم إلى الرُّسُلِ والنَّبِيِّينَ.

غَرَضُ تَنْكِيرِ ﴿رُسُلٌ﴾:

نَكَّرَتْ كلمةُ ﴿رُسُلٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾؛ للتَّعْظِيمِ والتَّكْرِيمِ؛ لِعَظَمَةِ مَنْ أَرْسَلَهُمْ سُبْحَانَهُ؛ ولِعَظَمَةِ رسالةِ هؤلاءِ الرُّسُلِ ﷺ، ولاصطفاءِ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ خَلْقِهِ.

والمرادُ بالرُّسُلِ هنا جميعُ الرُّسُلِ ﷺ، وعليه فالجمعُ على حقيقته، وليس كما قيل: إنَّ المرادَ به رسولُنا مُحَمَّدٌ ﷺ، وأنَّ الجمعَ للتَّعْظِيمِ⁽¹⁾؛ لمنافاته للسياق؛ فالآيةُ ليستَ محمولةً على إطلاقِ الكلِّ وإرادةِ الجزءِ بالاعتبارِ المجازيِّ، بل هي على الحقيقة؛ لأنَّ مَنْ اتَّبَعَ رسولاً واحداً فقد اتَّبَعَ جميعَ المرسلينَ، وهذا هو مُقتَضَى الإيمانِ بهم، كما قال ربُّنا: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: 285].

دَلَالَةُ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ فِي الْاِمْتِنَانِ:

لِلجَارِّ والمَجْرُورِ ﴿مِّنْكُمْ﴾ المتعلِّقُ بمحذوفٍ والواقعِ صِفَةً لِّرُسُلٍ في قوله تعالى: ﴿رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾، أثرُ بالغٌ في الامتنانِ بإرسالِ الرُّسُلِ إلى بني آدمَ، والمقصودُ أنَّ الرُّسُلَ مِنْ عُمومِ بني آدمَ، وكذلك من خصوص قبيلة كُلِّ نَبِيٍّ، وهذا أَقْطَعُ لِعُذْرِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، وأُثْبِتُ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ بِهِ الصَّقُ، وبأحواله أَخْبَرُ، وبشأنه أَعْلَمُ.

كما أنَّ الألفَةَ، وسُكُونَ الْقَلْبِ، واطمئنانَ النَّفْسِ تَتَحَقَّقُ عندَ إرسالِ الرُّسُلِ إلى بني جِنْسِهِمْ بِخِلَافِ مَا لَا يَكُونُ مِنَ الْجِنْسِ، فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وهذا مِنْ بَابِ الْاِمْتِنَانِ مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ.

(1) الْجَمَلُ، الفُتُوحَاتُ الْإِلَهِيَّةُ: 2/137.

مَنْ اتَّبَعَ رَسُولًا
وَاحِدًا فَقَدْ اتَّبَعَ
سَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ
وَالرُّسُلِينَ

إِرْسَالُ الرُّسُلِ
لِلنَّاسِ رَحْمَةً
مِّنَ اللَّهِ وَتَفَضُّلٌ
عَلَيْهِمْ،
وَتَعْرِضٌ
بِالْجَهْلَةِ الَّذِينَ
أَنْكَرُوا بَعْثَهُمْ

وفي التعبير بالجار والمجرور ﴿مِنْكُمْ﴾ قطع لطمع المكذبين في أن يرسل الله تعالى لهم رُسلاً من الملائكة؛ لأنَّ المرسل يكون من جنس من أرسل إليهم، وفي هذا تعريض بالجهلة من الأمم الذين أنكروا رسالة الرُّسل؛ لأنَّهم من جنسهم، مثل قوم نوح إذ قالوا: ﴿مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: 27]، وكمشركي مكة إذ كذبوا رسالة محمد ﷺ؛ لأنَّه بشرٌ كما حكى القرآن عنهم: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 94] (1).

نكتة التعبير عن الصفة بالفعل المضارع:

عبر عن الصفة ﴿يَقْضُونَ﴾ بصيغة الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِي﴾ للإشارة إلى إتمام رُسُلِ الله رسالتهم إلى الناس، وكمال إبلاغهم مراد الله إلى خلقه، وبذلهم أقصى طاقاتهم في تلاوة منهج الله إلى البشر، فالآية أفادت تصوير تلاوة الرُّسل آيات الله، وحكايتها للناس، أو أنَّهم مواظبون على تبليغ رسالات الله إلى أممهم، فهم يُتبعون الآية بأخرى، أو أنَّهم يُظهرون ما جاءهم من الآيات عن الله دون كتمان أو إخفاء، وكلُّها معانٍ مجازية للقص؛ لأنَّ حقيقة القص هي أنَّ أصل القصص إتباع الحديث من اقتصاص أثر الرجل وإتباعه؛ لتعرف جهة الماشي، فعلى المعنى الأول فهو كقوله في الآية الأخرى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: 71]، وأياً ما كان فهو مُحتمل للحمل على جميعها من استعمال اللفظ في مجازيه (2)، أو أنَّ الرُّسل ﷺ مُستمرون في تلاوة آيات الله تعالى من خلال أتباعهم، وفي ذلك مدحٌ عظيمٌ وثناءٌ بالغٌ على المُبلِّغين رسالة الرُّسل للناس دون تحريف أو تبديل أو تغيير.

مدح الرُّسل
وأتباعهم بتلاوة
آيات الله للناس
أجمعين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/108.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/108.

سِرُّ اخْتِيَارِ مُفْرَدَةِ «يَقْضُونَ» دُونَ مُرَادِفَاتِهَا:

تَنَاسُبُ التَّعْبِيرِ
بِالْقَصِّ مَعَ
الْمَقْصُودِ الْأَعْلَى
لِلسُّورَةِ

أَوْثَرَ التَّعْبِيرُ بِ«يَقْضُونَ» دُونَ (يَتْلُونَ) مَعَ أَنَّهَا الْأَظْهَرُ فِي مَقَامِ ذِكْرِ الْآيَاتِ؛ لِأَنَّ الْقَصَّ أَعْمُ؛ حَيْثُ يَشْمَلُ كُلَّ مَا يُخْبِرُ بِهِ، سِوَاءَ كَانَ مِنْ صُحُفٍ أَمْ مِنْ دُونَ صُحُفٍ، وَسِوَاءَ كَانَ بِتِلَاوَةٍ مُبَاشِرَةٍ بِالتَّزَامِ حُرُوفِهَا أَمْ بِغَيْرِهَا، فَالتَّعْبِيرُ بِ«يَقْضُونَ» يَشْمَلُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مِمَّنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمُ الْكُتُبُ، وَمَنْ لَمْ تُنَزَّلْ عَلَيْهِمْ، كَمَا حَكَى اللَّهُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي السُّورَةِ السَّابِقَةِ: «يَمْعَشَرُ الْحَيُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا» [الأنعام: 130] (1).

وَقَدْ رَبَطَ الْبِقَاعِي بَيْنَ مَقْصُودِ السُّورَةِ، وَإِثَارِ التَّعْبِيرِ بِالْقَصِّ دُونَ التِّلَاوَةِ وَمُرَادِفَاتِهَا فَقَالَ: "وَلَمَّا كَانَ الْأَعْلَبُ عَلَى مَقْصِدِ هَذِهِ السُّورَةِ الْعِلْمَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: «فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآيِينَ» [الأعراف: 7]، وَيَأْتِي فِي قَوْلِهِ: «وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ» [الأعراف: 52] وَغَيْرِهَا، كَانَ التَّعْبِيرُ بِالْقَصِّ الَّذِي هُوَ تَتَبُّعُ الْأَثَرِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْأَنْعَامِ أَلِيقَ، فَقَالَ: «يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي»؛ أَي: يُتَابِعُونَ ذِكْرَهَا لَكُمْ عَلَى وَجْهِ مَقْطُوعٍ بِهِ، وَيَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بِهَا أَثَرَ بَعْضٍ لَا يَتَخَالَفُونَ فِي أَصْلِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَصُولِ" (2).

نُكْتَةُ تَعْدِيَةِ الْفِعْلِ بِحَرْفِ الاسْتِعْلَاءِ:

قَصُّ الرُّسُلِ
آيَاتِ اللَّهِ لِإِقَامَةِ
الْحُجَّةِ عَلَى
الدَّعْوَيْنِ، وَقَطْعِ
مَعَاذِيرِهِمْ

عُدِّي الْفِعْلُ «يَقْضُونَ» بِحَرْفِ الاسْتِعْلَاءِ «عَلَيْكُمْ»، وَلَمْ يُتَعَدَّ بِحَرْفِ الْاِخْتِصَاصِ (الْلَامِ) فَلَمْ يُقَلَّ: (يَقْضُونَ لَكُمْ)، وَلَمْ يَرِدْ كَذَلِكَ الْفِعْلُ غَيْرَ مُتَعَدٍّ بِحَرْفٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلَيْنِ» [الأنعام: 57]؛ لِأَنَّ (عَلَى) تُشْعِرُ بِالنَّثْلِ وَالتَّحْمُلِ وَالتَّبِعَةِ، وَهَذَا يَنَاسِبُ الْمَقَامَ هُنَا؛ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ قَصُّ الرُّسُلِ آيَاتِ اللَّهِ عَلَى الْمُبْعُوثِينَ إِلَيْهِمْ بِغَرَضِ تَرْجِيَةِ الْوَقْتِ وَالتَّسْلِيَةِ، وَإِنَّمَا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ

(1) السَّامِرَائِي، أَسْئَلَةُ بَيَانِيَّةٍ: 2/50.

(2) الْبِقَاعِي، نَظْمُ الدَّرَرِ: 7/394.

عليهم، وقطع معاذيرهم، وتلك مسؤوليتهم عليهم وتبعية إن أعرضوا عن آيات الله، ومنهج ربهم، والتصديق بآياته؛ لذا كان الملائم هنا تعديّة الفعل بحرف الاستعلاء لا بحرف الاختصاص.

نكتة تقديم الجار والمجرور على المفعول:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ في قوله: ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِيَّتِي﴾؛ للاهتمام بالمُقَدَّم؛ حيث إنَّ المُخَاطَبِينَ هم المُسْتَهْدِفُونَ من تلاوة آياتِ الله عليهم، وتبليغها إليهم؛ لذا قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ؛ ففيه معنى الرِّعاية بالمُخَاطَبِينَ وبيانِ رحمةِ الله بهم، فهو أَرْسَلَ الرُّسُلَ لِيَقْضُوا عليهم الآياتِ، ولو عكسَ لكان الاهتمامُ بالآياتِ، ففيه إيماءٌ إلى أنَّ دَعْوَتَهُمْ هي غَايَةُ الإرسالِ، وهذا من حكمةِ الله تعالى الَّذِي يَضَعُ الأمورَ في نصابِها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4]؛ إذ مهمّةُ كُلِّ رسولٍ هي البلاغُ بِلُغَةِ قَوْمِهِ لِيُوضِّحَ لَهُمْ شريعةَ الله.

دلالة إضافة (آيات) لضمير المتكلم المفرد:

المرادُ بآياتِ الله تعالى في قوله: ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِيَّتِي﴾ آياتُ كُتُبِهِ سبحانه، والدَّلَائِلُ، والأحكامُ، والشَّرَائِعُ؛ لأنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الأشياءِ آياتُ الله تعالى؛ كما أنَّ الرُّسُلَ إذا جاءُوا فلا بُدَّ وأنَّ يَذْكُرُوا جَمِيعَ هذه الأقسام⁽¹⁾.

وإضافةُ (آيات) لضميرِ المتكلمِ المفردِ ﴿عَائِيَّتِي﴾؛ لتشريفِ الآياتِ، ولتعظيمِ الدَّاعِينَ إليها، فالآياتُ آياتُ الله تعالى مَلِكِ الملوكِ، بَارِئِ الكونِ، رَبِّ العالمينَ.

تقدير المحذوف بين جملة الشرط وجوابها:

وَقَعَتْ جُمْلَةٌ ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ﴾ جوابًا للشرط في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾، وَبَيْنَ جُمْلَةِ الشرطِ وجوابها محذوفٌ تقديره:

المُخَاطَبُونَ هم
المُسْتَهْدِفُونَ
من تلاوة آياتِ
الله عليهم،
وتبليغها إليهم

تشريفُ الآياتِ
وتعظيمُ
الدَّاعِينَ لها

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/73.

الإيجاز بالحذف
دلّت عليه الفاء
الفصيحة،
وهو من سمات
البيان القرآني

(فَاتَّقَى مِنْكُمْ فَرِيقٌ، وَكَذَّبَ فَرِيقٌ؛ فَمَنْ اتَّقَى)....، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ شَرْطِيَّةٌ أَيْضًا، وَجَوَابُهَا: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أَي: فَمَنْ اتَّبَعَ رُسُلِي فَاتَّقَانِي، وَأَصْلَحَ نَفْسَهُ وَعَمَلَهُ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ⁽¹⁾. وهذا من الإيجاز بالحذف، دلّت عليه الفاء الفصيحة، وقد جَنَّبَ هذا الأسلوب الرشيْق طُولَ العبارة وَتَرَهَّلَهَا، وَحَافَظَ عَلَى رِشَاقَةِ الْجُمْلَةِ وَخِفَتِهَا، وَتِلْكَ مِنْ سِمَاتِ التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ الْمُعْجَزِ.

نُكْتَةُ اقْتِرَانِ جَوَابِ الشَّرْطِ بِالفَاءِ:

وُجُوبُ تَحَقُّقِ
الْوَعْدِ، وَجَوَازُ
تَخَلُّفِ الْوَعْدِ

اقتَرَنَ جَوَابُ الشَّرْطِ الْأَوَّلُ بِالفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، دُونَ الْجَزَاءِ الثَّانِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؛ لِلْمَبَالِغَةِ فِي الْوَعْدِ؛ لِعَدَمِ تَخَلُّفِهِ، إِذْ حَرَفَ الْفَاءُ يُشْعِرُ بِأَنَّ الْاِتِّقَاءَ سَبَبٌ لِلْفَلَاحِ، وَهُوَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الْاِتِّقَاءِ⁽²⁾، وَاقْتَرَنَ بِالفَاءِ أَيْضًا؛ لِلْمَبَالِغَةِ بِعَدَمِ تَخَلُّفِهِ، وَلِلْمُسَامَحَةِ فِي الْوَعْدِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ تَخَلُّفُهُ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِبَعْضِ الْعُصَاةِ، وَمَغْفِرَةً مِنْهُ سَبْحَانَهُ، وَتَفَضُّلاً، وَعَفْواً، وَالْمَعْنَى: لَا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِقَابِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ لِفَوَاتِ الثَّوَابِ⁽³⁾.

سِرُّ الْعُدُولِ عَمَّا يَقْتَضِيهِ الظَّاهِرُ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ:

غَايَةُ إِرْسَالِ
الرُّسُلِ تَوْرِيثُ
التَّقْوَى وَإِصْلَاحُ
النَّاسِ

جَاءَ جَوَابُ الشَّرْطِ خِلَافَ مَا يُتَوَقَّعُ، وَهُوَ: (فَمَنْ اتَّبَعَ الرُّسُلَ)، فَاتَّرَ النَّظْمُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ﴾؛ لِأَنَّ غَايَةَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ هِيَ تَوْرِيثُ التَّقْوَى، وَإِصْلَاحُ النَّاسِ، لَا نَفْعُ الرُّسُلِ ﷺ، إِذْ هُوَ لِسَانُ حَالٍ وَمَقَالُ مَوْكِبِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرِيمِ، حِينَمَا قَالُوا لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠٩﴾ [الشَّعَرَاءُ: 109]؛ فَأَرَادَ النَّظْمُ إِبْرَازَ هَذَا الْمَطْلُوبِ، فَغَرَضُ النَّظْمِ تَجْلِيَةُ الْمَقْصُودِ، وَتَبْيِينُ الْمُرَادِ.

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 8/109.

(2) الْقَوْنَوِيُّ، حَاشِيَتُهُ تَفْسِيرٌ عَلَى الْبِيضَاوِيِّ: 8/378.

(3) الْخَفَاجِيُّ، عُنَايَةُ الْقَاضِي: 4/166.

فائدة التعبير بالفعل الماضي:

أَوْثَرَ التَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَتَّقَى وَأَصْلَحَ﴾ على المضارع: (يَتَّقَى وَيُصْلِحُ)؛ إغراءً بسرعة الاستجابة، وحثاً عليها، وإظهاراً للعبد المُسْتَجِيبِ الطَّائِعِ الَّذِي اتَّقَى التَّكْذِيبَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَأَصْلَحَ عَمَلَهُ فِي صُورَةٍ مَنْ بَادَرَ إِلَى الْعَمَلِ فَوَرَ تَلَقُّيهِ آيَاتِ رَبِّهِ. وفي هذا أيضاً إشارةً إلى وجوب المبادرة إلى طاعة الله تعالى دون تباطؤٍ أو تَلَكُّؤٍ، وإلى تطبيقِ شَرَعِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَاتِّخَاذِهِ مَنَهَجَ حَيَاةٍ دُونَ سَخَطٍ أَوْ إِجْبَارٍ، بَلْ طَوَاعِيَّةً، وَبِصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ، وَنَفْسٍ رَاضِيَةٍ.

عَرَضُ التَّنْكِيرِ:

غَرَضُ التَّنْكِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَوْفٌ﴾ التَّخْلِيلُ، وَالْمُرَادُ نَفْيُ أَنْ يَمَسَّ الْمُتَّقِينَ الطَّائِعِينَ الْمُصْلِحِينَ أَدْنَى خَوْفٍ مِنْ جَمِيعِ مَكَارِهِ النَّفْسِ وَأَنْكَادِهَا فِي مُسْتَقْبَلِهِمْ وَمَاضِيهِمْ، فَهَذَا نَفْيُ لَجِنْسِ الْخَوْفِ بِدَلَالَةِ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ وَالْمَعْنَى: فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ لُحُوقِ مَكْرُوهٍ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ مِنْ فَوَاتِ مَطْلُوبٍ.

توجيه القراءات القرآنية:

قَرَأَ يَعْقُوبُ (فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ) بِفَتْحِ الْفَاءِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ (لَا) إِذَا بُنِيَتْ مَعَ التَّنْكِيرِ عَلَى الْفَتْحِ كَانَ النِّفْيُ بِهَا عَامًّا، نَحْوُ: لَا رَجُلَ فِي الدَّارِ، فَهُوَ نَفْيٌ لْجَمِيعِ أَجْنَاسِ الرِّجَالِ فِي الدَّارِ، كَأَنَّهُ جَوَابُ سَوْأَلٍ مُقَدَّرٍ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ فِي الدَّارِ؟

فَتَكُونُ قِرَاءَةُ الْفَتْحِ: (فَلَا خَوْفَ) أَكْدَ فِي نَفْيِ الْخَوْفِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ عَمُومِ نَفْيِ جِنْسِ الْخَوْفِ، فَأَفَادَتْ نَفْيَ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْخَوْفِ عَنْ مَتَّبِعِي هَدْيِ الرَّحْمَنِ⁽¹⁾، وَأَنَّ الْمَكْلَفَ الَّذِي أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَلْحَقُهُ

الإغراء بسرعة
الاستجابة،
ووجوب المبادرة
إلى الطاعة

نفى أذى خوفٍ
أو حزنٍ من
جميع مكاره
النفس ينال
الاتقياء الأنقياء

قراءة الفتح
تنفي جميع
أنواع الخوف

(1) السَّيْرَازِيُّ، لِلْوَضَحِ: 270 - 1/269.

خوفٌ في القبر، وعندَ البعث، وعندَ حضورِ الموقفِ، وعندَ تطايرِ الكتبِ، وعندَ نصبِ الميزانِ، وعندَ الصِّراطِ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِحَرْفِ الاسْتِعْلَاءِ:

نَفْيِ اسْتِعْلَاءِ
الْخَوْفِ عَلَيْهِمْ
وَتَمَكُّنِهِ مِنْهُمْ،
وَإِحَاطَتِهِ بِهِمْ،
لَا مُطْلَقَ الْخَوْفِ

الاستعلاءُ في قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ استعلاءٌ مجازيٌّ، وأوثر التعبيرُ بـ (على)؛ لما في (على) من الدلالة على الاستعلاء والإحاطة، ولأنَّ الخوفَ مَضَرَّةٌ وأَلَمٌ نَفْسِيٌّ وَثَقْلٌ يَعْتَرِي صاحبه، ويستولي عليه، وهذا يناسبُه حرفُ الاستعلاء، كما أنَّ في التعبيرِ بحرفِ الاستعلاء تصويرُ الخوفِ بجائهم على الصدرِ، مُتَمَكِّنٌ من صاحبه، وهذا حالُ الخائفِ، فالآيةُ نَفَتْ ذلكَ الخوفَ، وأثبتتِ الأمانَ والطَّمَأْنِينَةَ لصاحبها، فيكونُ المنفِيُّ استعلاءُ الْخَوْفِ عَلَيْهِمْ وتَمَكُّنُهُ مِنْهُمْ، وإِحَاطَتُهُ بِهِمْ، لا مطلقَ الخوفِ، فلا يكونُ فيه نَفْيُ خوفِ الْمُتَّقِينَ مِنْ أهوالِ الْقِيَامَةِ، لكنها تكونُ مُخَفَّفَةً عَنْهُمْ، ثُمَّ إِذَا صَارُوا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ؛ كَانَ حَالُهُمْ كَحَالِ مَنْ لَمْ يَخَفْ⁽²⁾.

سِرُّ تَقْدِيمِ نَفْيِ الْخَوْفِ عَلَى نَفْيِ الْحُزَنِ:

الْخَوْفُ يَقْوَى مَعَ
اقْتِرَابِ الْحُزَنِ
مِنْهُ بِخِلَافِ
الْحُزَنِ فَيُضَعِّفُ
بِالْإِتِّعَادِ عَنْ
زَمَانِهِ

قُدِّمَ نَفْيُ الْخَوْفِ عَلَى نَفْيِ الْحُزَنِ في قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لأنَّ الخوفَ يكونُ لما سيأتي، بينما الحزنُ فلَمَّا مَضَى، وما مَضَى يَضَعُفُ مع الأيَّامِ، بخلافِ الْخَوْفِ فَإِنَّهُ يَشْتَدُّ بِمَرِّ الزَّمَانِ وَيَقْوَى، وَالْحُزْنَ يَخْفُ وَيُضَعِّفُ؛ لِذَا قُدِّمَ الْأَقْوَى فِي النَّفْسِ، وَالْأَشَدُّ أَثَرًا فَقَالَ: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أَي: مِنْ شَيْءٍ آتٍ، فَإِنَّ الْخَوْفَ اضْطَرَّابُ النَّفْسِ مِنْ تَوَقُّعِ فِعْلٍ ضَارٍّ⁽³⁾.

وأيضاً، لأنَّ الْحُزْنَ يحصلُ نتيجةَ الْخَوْفِ، فالحزنُ مرحلةٌ تالِيَةٌ لِلْخَوْفِ، فإذا نُفِيَ مَا يُسْتَجَدُّ مِنَ الْحُزَنِ يُنْفَى مَا يُسْتَجَدُّ مِنَ الْخَوْفِ.

(1) الجاوي، مراح لبيد: 1/17.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 1/274.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 1/65.

نُكْتَةُ اخْتِلَافِ التَّقَابِلَاتِ:

الْمُتَأَمِّلُ فِي صِيَاغَةِ جُمْلَتِي الْجَزَاءِ: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، وَجُمْلَةِ: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يَلْحَظُ اخْتِلَافَ الصِّيَاغَةِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ؛ حَيْثُ جَاءَتْ الْأُولَى بِالْأَسْمِ ﴿خَوْفٌ﴾، وَالثَّانِيَةُ بِالْفِعْلِ ﴿يَحْزَنُونَ﴾، حَيْثُ لَمْ يَقُلْ سُبْحَانَهُ: (لَا يَخَافُونَ)، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَوْفَ يَقْوَى وَيَثْبُتُ مَعَ تَقَادُمِ الْأَيَّامِ، وَالَّذِي يَنَاسِبُ ذَلِكَ التَّعْبِيرُ بِالْأَسْمِ، بَيْنَمَا الْحُزْنُ فَإِنَّهُ يَضَعُفُ مَعَ تَبَاعُدِ الْأَيَّامِ، فَتَنَاسَبَ ذَلِكَ الْفِعْلُ.

فَائِدَةُ مَجِيءِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مَنْفِيًّا، وَالْمُسْنَدِ فِعْلًا:

أَفَادَ النَّظْمُ الْاِخْتِصَاصَ، فَأَتَى بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ الْمُسَبُّوقِ بِأَدَاةِ النَّفْيِ، وَالْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ؛ فَأَفَادَ نَفْيَ الْحُزَنِ عَنْهُمْ، وَإِثْبَاتَهُ لغيرِهِمْ؛ وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْحُزْنَ سَيَقَعُ لَكِنْ عَلَى غَيْرِهِمْ لَا عَلَيْهِمْ، فَهُوَ تَعْرِيفٌ بِمَنْ أَثَرُ الْكُفْرِ عَلَى الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا.

وَعَدَلَ عَنِ الْمُفْرَدِ، بِأَنْ يُقَالَ: وَلَا حُزْنَ عَلَيْهِمْ، إِلَى مَا عَلَيْهِ النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ؛ لِئَتَأْتِيَ بِذَلِكَ بِنَاءً الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ عَلَى ضَمِيرِهِمْ؛ فَيَفِيدُ الْقَصْرَ؛ أَيِ: تَخْصِيصِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ الْمُتَقَدِّمِ ﴿هُمْ﴾ بِالْخَبَرِ؛ فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحُزْنَ وَقَعَ بِغَيْرِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا⁽¹⁾.

سِرُّ الْاِخْتِلَافِ فِي التَّعْبِيرِ بَيْنَ التَّقَابِلَاتِ:

جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ مَعْطُوفًا عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَلَمْ يَقُلْ: (وَمَنْ كَفَرَ وَأَفْسَدَ) مُوَافِقًا لِلْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ فِي اللَّفْظِ؛ لِإِلْإِذَا بَأَنَّ مَدَارَ الْفَلَاحِ لَيْسَ مُجَرَّدَ عَدَمِ التَّكْذِيبِ، بَلْ هُوَ الْاِتِّقَاءُ وَالْاجْتِنَابُ عَنْهُ⁽²⁾، وَالْمَرَادُ هُنَا: بَيَانُ عَاقِبَةِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ التَّصَدِيقِ بِآيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنْفُوا مِنْ قَبُولِهَا وَتَمَرَّدُوا عَنِ الْإِذْعَانِ لَهَا، وَالْعَمَلِ بِمَقْتَضَاهَا.

خَوْفُ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَاقِعٌ،
وَإِثْبَاتُهُ مَدْحٌ
لَهُمْ

التَّعْرِيفُ
بِالْجَدِيرِينَ
بِالْحُزَنِ مِنْ
الْكُفْرِ

التَّكْذِيبُ
كَالِاسْتِكْبَارِ،
كِلَاهُمَا مَانِعٌ مِنْ
التَّقْوَى وَالْعَمَلِ
الصَّالِحِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/109.

(2) الألوسي، روح المعاني: 6/170.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ:

كُفِّرَ الْمُخْبِرَ عَنْهُمْ
بِجَمِيعِ آيَاتِ
اللَّهِ تَعَالَى

أُوتِرَ التَّعْبِيرُ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ دُونَ الْاسْمِ الظَّاهِرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، حَيْثُ لَمْ يَقُلْ: (وَالْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِنَا)؛ لِبِنَاءِ الْخَبَرِ عَلَى صَلَةِ الْمَوْصُولِ؛ أَيْ: إِنَّ ذَلِكَ الْعِقَابَ لِأَجْلِ تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنْهَا.

عَرَضُ إِضَافَةِ الْآيَاتِ إِلَى صَمِيرِ التَّعْظِيمِ:

تَفْخِيمُ الْآيَاتِ
وَتَعْظِيمُهَا وَبَيَانُ
فِظَاعَةِ جُزْمِ
الْمُكَذِّبِينَ

أُضِيفَتِ الْآيَاتُ إِلَى صَمِيرِ الْجَمْعِ لِتَفْخِيمِهَا وَتَعْظِيمِهَا، كَمَا لَا تَخْفَى دَلَالَةُ الْإِضَافَةِ إِلَى صَمِيرِ الْعِظَمَةِ (نَا) عَلَى فِظَاعَةِ جُزْمِ هَؤُلَاءِ الْمَخْلُوقِينَ الضُّعَفَاءِ الَّذِينَ يَتَجَاسَرُونَ عَلَى مُحَارَبَةِ رُسُلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللَّهِ خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ.

نُكْتَةُ جَمْعِ الْآيَاتِ:

الإِشَارَةُ إِلَى
الْبَالِغَةِ فِي
مُقَابَلَةِ حُجَجِ
الْحَقِّ بِأَكَاذِيبِ
الْبَاطِلِ

التَّعْبِيرُ بِصِغَةِ الْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ، حَيْثُ قَالَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي﴾ مِبَالِغَةً فِي الْإِخْبَارِ عَنْ جُحُودِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَكْذِيبِهَا، وَكَأَنَّهُمْ مَا تَرَكُوا آيَةً مِنْ آيَاتِ دَلَائِلِ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى جَاءَتْهُمْ بِهَا رُسُلُهُمْ إِلَّا وَكَذَّبُوهَا، وَأَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا.

فَائِدَةُ عَطْفِ الْاسْتِكْبَارِ عَلَى التَّكْذِيبِ:

بَيَانُ عِلَّةِ
التَّكْذِيبِ وَهِيَ
الْاسْتِكْبَارُ

ذُكِرَ الْاسْتِكْبَارُ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ التَّكْذِيبِ بِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾؛ لِبَيَانِ عَتْوِ الْمُكَذِّبِينَ، وَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِسَبَبِ اسْتِكْبَارِهِمْ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَقَبُولِهَا، فَفَائِدَةُ الْعَطْفِ تَظْهَرُ فِي أَمْرَيْنِ:

الأَوَّلُ: بَيَانُ شِدَّةِ تَكْذِيبِ الْمُكَذِّبِينَ، وَطَغْيَانِهِمْ.

الْآخَرُ: بَيَانُ عِلَّةِ التَّكْذِيبِ وَهِيَ الْاسْتِكْبَارُ، فَهُوَ مِنْ عَطْفِ الْعِلَّةِ عَلَى النَّتِيجَةِ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: كَذَّبُوا؛ لِأَنَّهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ.

دَلَالَةُ عَدَمِ إِشْرَابِ الْاسْمِ الْمَوْصُولِ مَعْنَى الشَّرْطِ:

مَنْ الْمَحْظُوظُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَدَمُ إِشْرَابِ الْاسْمِ الْمَوْصُولِ
مَعْنَى الشَّرْطِ بِإِثْبَاتِ الْفَاءِ فِي جُمْلَةٍ خَبَرِهِ، حَيْثُ خَلَا قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ مِنْ الْفَاءِ، فَلَمْ يَقُلْ: (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ)؛ وَذَلِكَ "لِلتَّرْهيبِ مِنْ شَكَاةِ الطَّبَاعِ"⁽¹⁾، فَأُخْرِجَتِ الْعِبَارَةُ
فِي صُورَةٍ خَبَرٍ مَشْحُونٍ بِالْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ؛ لِيَتَنَاسَبَ مَعَ شَنَاعَةِ جُرْمِ
الْمُكَذِّبِينَ الْمُعَانِدِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَرُسِّلَهُ الْكَرَامُ ﷺ.

العِبَارَةُ فِيهَا
تَهْدِيدٌ ضَمْنِيٌّ
مُنَاسِبٌ لَشَنَاعَةِ
جُرْمِ الْمُكَذِّبِينَ

نُكْتَةُ التَّغْيِيرِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ فِي الْإِنْبَاءِ عَنْ مَصِيرِ الْمُكَذِّبِينَ:

عَبَّرَ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِلْبُعِيدِ؛ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، فَلَمْ يَأْتِ
بِضَمِيرِ الْفَصْلِ (هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)؛ وَذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى بُعْدِ
مَنْزِلَتِهِمْ فِي الْبُغْضِ وَالضَّلَالِ وَالْهَلَاكِ، فَتَضَمَّنَ اسْمُ الْإِشَارَةِ مَا
يُفِيدُهُ ضَمِيرُ الْفَصْلِ مِنْ بَيَانِ مَالِهِمْ، وَفِي الْإِشَارَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِينَ
بِصِفَاتِ التَّكْذِيبِ وَالْاِسْتِكْبَارِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ هِيَ السَّبَبُ
فِي الْجَزَاءِ.

الْإِيْمَاءُ بِأَنَّ النَّسَارَ
إِلَيْهِمْ غَارِقُونَ فِي
الضَّلَالِ، وَشِدَّةِ
الْعَذَابِ

دَلَالَةُ اخْتِيَارِ لَفْظِ الصُّحْبَةِ:

اخْتَارَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ لَفْظَ الصُّحْبَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وَتَعْنِي الصُّحْبَةُ "الْاِقْتِرَانُ بِالشَّيْءِ فِي حَالٍ مَا،
وَفِي زَمَانٍ مَا، فَإِنْ كَانَتِ الْمُلَازِمَةُ وَالْخُلُطَةُ، فَهِيَ كِمَالُ الصُّحْبَةِ،
وَهَكَذَا هِيَ صُحْبَةُ أَهْلِ النَّارِ"⁽²⁾، صُحْبَةٌ دَائِمَةٌ مَلَاصِقَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ،
صُحْبَةٌ لَا انْفِكَاءَ مِنْهَا. وَفِي التَّعْبِيرِ بِهَذَا التَّرْكِيبِ إِشَارَةٌ إِلَى
أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ هُمْ أَحَقُّ بِهَذِهِ النَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا، وَقَدْ قَدَّمُوا
مَا يَسْتَأْهِلُونَ بِهِ صُحْبَةَ النَّارِ، وَجِدَارَةَ مَلَاظِمَتِهَا، وَالْخُلُودَ فِيهَا،
"وَأَفَادَ تَحْقِيقَ أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى النَّارِ بِطَرِيقِ قَصْرِ مُلَازِمَةِ النَّارِ

التَّرْكِيبُ يُشِيرُ
إِلَى الْمُلَازِمَةِ
الدَّائِمَةِ لِلنَّارِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/395.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/219.

عليهم في قوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: لَأَنَّ لَفْظَ ﴿أَصْحَابُ﴾ مُؤَدِّنٌ بِالْمُلَازِمَةِ⁽¹⁾.

كما أَنَّ هذا التَّرَكِيبَ يُشِيرُ إِلَى قَصْرِ مِلَازِمَةِ النَّارِ لَهُمْ، فَهَمُّ مُلَازِمُونَ لَهَا عَلَى الدَّوَامِ دُونَ غَيْرِهِمْ، مِمَّنْ سَيَدْخُلُهَا مِنْ فَسَقَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى الْخُلُودِ.

نُكْتَةُ الْفَضْلِ:

توكيدُ الخلودِ
لمعنى الصَّحبةِ

جاء قوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ مفصلاً غير موصول؛ لإفادته توكيدَ الجملةِ السَّابِقَةِ، فَقَدْ أَفَادَتِ الْجُمْلَةُ السَّابِقَةُ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ مُلَازِمُونَ لَهَا عَلَى الدَّوَامِ، فَكَانَ ذِكْرُ الْخُلُودِ توكيداً لمعنى الجملةِ السَّابِقَةِ، وَلِذَلِكَ قُصِلَتْ، وَهِيَ مِنْ بَابِ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ.

دَلَالَةُ التَّوَكِيدِ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ ﴿هُمْ﴾:

مزيدُ ترويعٍ
للمُكذِّبِينَ
وتهديدٍ لَهُمْ،
وعَدَمُ خُلُودِ
مُرتكِبِ الكِبِيرَةِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي
النَّارِ

دَلَّ التَّوَكِيدُ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ ﴿هُمْ﴾ عَلَى عَدَمِ خُلُودِ الْعَاصِي مِنْ غَيْرِ تَكْذِيبٍ وَلَا اسْتِكْبَارٍ فِي النَّارِ، وَبَدَلِيلِ تَقْدِيمِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ عَلَى الْخَبَرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وَدَلَالَتِهِ عَلَى الْقَصْرِ؛ أَي: هَؤُلَاءِ الْبُعْدَاءُ الْمُكْذِبُونَ الْمُسْتَكْبِرُونَ هُمْ خَالِدُونَ فِيهَا دُونَ غَيْرِهِمْ، فَالْخُلُودُ فِيهَا خَاصٌّ بِهِمْ لَا بَغِيرِهِمْ، وَكَأَنَّ النَّارَ خُلِقَتْ لَهُمْ خَاصَّةً، وَفِي هَذَا مَزِيدٌ تَرْوِيعٍ لَهُمْ وَتَهْدِيدٍ.

دَلَالَةُ التَّوَكِيدِ بِالْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ:

كثرةُ المؤكِّداتِ
دليلُ إرادةِ
تثبيتِ الحقائقِ
لإقامةِ الْحُجَّةِ
عَلَى التَّنْكِيرِ

دَلَّتِ الْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ عَلَى طَوْلِ مِلَازِمَةِ الْكُفْرِ وَبَقَائِهِمْ فِي النَّارِ، وَعَلَى الدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ، وَأَكَّدَ هَذَا الْبَقَاءُ الْأَبَدِيَّ لِلْكَفَّارِ فِي النَّارِ بِمَوْكِدٍ ثَالِثٍ، هُوَ قَوْلُهُ: ﴿خَالِدُونَ﴾. فَقَدْ أَكَّدَ النَّظْمُ خُلُودَ هَؤُلَاءِ الْمَوْصُوفِينَ فِي النَّارِ بِمَوْكِدَاتِ أَرْبَعَةٍ: أُولَئِكَ الْقَصْرُ، فَقَدْ قَصَرَ الْخُلُودَ فِي النَّارِ عَلَيْهِمْ بِتَعْرِيفِ الطَّرْفَيْنِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/111.

ثانيها: أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ؛ أي: الملازمون لها ملازمة الصَّاحِبِ لصاحبه.

ثالثها: التَّأَكُّدُ بضمير الفصل، إذ يقول: ﴿هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.
رابعها: تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿فِيهَا﴾ في معنى قصرهم على النَّارِ؛ أي: أَنَّهُمْ فِيهَا لَا فِي غَيْرِهَا خَالِدُونَ.

❖ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

القَصُّ والتَّلاوَةُ:

يَدُلُّ جِذْرُ كَلِمَةِ (قَصَّ) عَلَى تَتَبُعِ الْأَثَرِ، أَمَّا كَلِمَةُ (تَلَا) فَيَدُلُّ أَصْلُ مَعْنَاهَا عَلَى الْإِتِّبَاعِ. يُقَالُ: تَلَوْتُهُ إِذَا تَبِعْتَهُ. وَمِنْهُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ يُتَّبَعُ آيَةٌ بَعْدَ آيَةٍ.

القَصُّ أَعْمُ مِنَ
التَّلاوَةِ فِي الْفَعْلِ
وَالْأَثَرِ

وَالْقَصُّ أَعْمُ مِنَ التَّلاوَةِ؛ لِأَنَّهُ يَشْمَلُ كُلَّ مَا يُخْبَرُ بِهِ، سَوَاءَ كَانَ مِنْ صُحُفٍ أَمْ مِنْ دُونَ صُحُفٍ، وَسَوَاءَ كَانَ تِلَاوَةً أَمْ لَا.

الخَوْفُ وَالْحُزْنُ:

الخَوْفُ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَالْحُزْنُ يَكُونُ عَلَى الْمَاضِي، وَكِلَاهُمَا مِنْ أَوْصَافِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَمِمَّا يَوْجَدُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]، وَهَذَا فِي الْآخِرَةِ إِذْ لَا يَخَافُونَ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَ وَمَا مَضَى.

الخَوْفُ هَمٌّ
لِمُتَوَقَّعٍ لَمْ يَأْتِ،
وَالْحُزْنُ غَمٌّ لِمَا
وَقَعَ

وَالخَوْفُ هَمٌّ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ لشيءٍ مُتَوَقَّعٍ، وَالْحُزْنُ غَمٌّ يَلْحَقُهُ لشيءٍ وَقَعَ⁽¹⁾.

الكَذِبُ وَالْإِفْتِرَاءُ:

الكَذِبُ: هُوَ عَدَمُ مِطَابَقَةِ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ، أَوْ لاعتقادِ الْمَخْبِرِ لهما عَلَى خِلَافٍ فِي ذَلِكَ.

الافتراء أَخْصَصُ
مِنَ الْكَذِبِ
وَأَشَدُّ دَمًّا

(1) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 3/231.

والافتراء: أخص منه؛ لأنه الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب، فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه، ولذا يُقال لمن قال: فعلت كذا، ولم أفعَلْ كذا مع عدم صدقه في ذلك: هو كاذبٌ، ولا يُقال: هو مُفترٍ، وكذا مَنْ مدحَ أحداً بما ليس فيه، يُقال: إنه كاذبٌ في وصفه، ولا يُقال: هو مُفترٍ؛ لأنَّ في ذلك ممَّا يرتضيه المقولُ فيه غالباً⁽¹⁾، وقد يحسنُ الكذبُ على بعضِ الوجوه، كالكذبِ في الحربِ، وإصلاحِ ذاتِ البينِ، وعلى الزَّوجةِ، كما وردت به الرواية⁽²⁾؛ لأنَّ المؤمنَ لا يكونُ كذاباً، ولكنَّ بعضَ الأحوالِ يُطلَبُ فيها التَّوريةُ أو المُدَاراةُ، وتَصْرِيحُ الشَّخصِ بما يُرضي الطَّرَفَ الآخرَ؛ لِرِعايَةِ مَصْلَحةٍ، أو دَرءِ مَفْسَدَةٍ، أو التَّخْلِصِ من عَدُوٍّ، والتَّحَايُلِ عليه، بخلافِ الافتراءِ.

(1) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 145.

(2) عن أمِّ كلثوم بنت عقبة ؓ، قالت: ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ رَخَّصَ في شيءٍ مِنَ الكذبِ إلَّا في ثلاثٍ: «الرَّجُلُ يَقُولُ الْقَوْلَ يَرِيدُ بِهِ الْإِصْلَاحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ الْقَوْلَ فِي الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ، وَالرَّأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا». أخرجه أبو داود في سننه، الحديث رقم: 4921)، والنسائي في السنن الكبرى، الحديث رقم: (9134)، وأحمد في مسنده، الحديث رقم: (27275).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 13، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 8-9-768-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 13: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 8-9-768-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»